اقتراح فى اصلاح الرسم العربي

للدكتور على عبد الواحد وافى

أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

قبل عرض الاقتراح ، يحسن أن أذكر كلمة قصيرة فى عيوب الرسم العربى وآثارها ، لأننى قد راعيت فى الطريقة الجديدة التى اقترحتها أن يتخلص رسمنا من جميع هذه العيوب وما يترتب عليها من نتائج

ترجع أهم عيوب الرسم العربى إلى الأمرين الآتيين :

(أولهما) أن الكلمات تدون بحسب هذا الرسم فى الكتابة والطبع عارية عن حركات حروفها ، أى مجردة من الإشارة إلى أصوات المد القصيرة (الفتحة والكسرة والضمة) التى تلحق الأصوات المقطعية فى الكلمة

وقد ترتب على ذلك الأضرار الأربعة الآتية :

١ — أنه لا يستطيع أحد أن يقرأ نصاً عربياً قراءة صحيحة ويشكل جميع حروفه شكلاً صحيحاً إلا إذا كان ملماً بقواعد اللغة العربية وأوزان مفرداتها إلماماً تاماً ، وكان فاهماً من قبل معنى ما يقرؤه . ففى معظم اللغات الأوروبية ، كما يقول قاسم أمين ، يقرأ الناس قراءة صحيحة ما تقع عليه أبصارهم ، وتتخذ القراءة وسيلة للفهم ؛ أما نحن فلا نستطيع أن نقرأ قراءة صحيحة إلا إذا فهمنا أولاً ما نريد قراءته

٢ — أن النص العربى الواحد عرضة لأن يقرأ قراءات متعددة بعيدة عن اللغة الفصحى . وذلك أنه قد حدث تفاوت واسع النطاق فى أصوات المد القصيرة (التى يرمز إليها بالفتحة والكسرة والضمة) فى اللهجات العامية ؛ حتى أننا لا نكاد نجد كلمة باقية فى هذه اللهجات على وزنها العربى الصحيح . فالنص العربى المجرد من الشكل عرضة لأن يقرأه أهل كل لهجة حسب منهجهم فى وزن الكلمات

٣ — أنه من المتعذر مع هذا الرسم قراءة أسماء الأعلام (أسماء الأمكنة والبلاد والبحار والجبال والأناسى .. الخ) قراءة صحيحة ، إلا إذا كان القارئ يحفظ الكلمة وضبطها من قبل .

ولذلك تضطر بعض المعجمات إلى تهجى حروف الكلمات التى من هذا القبيل والنص على حركة كل حرف منها

٤ — أن رسماً كهذا من شأنه أن يُشيع اللحن ، ويعمل على انحلال العربية الفصحى ، ويحول دون تثبيت ملكتها فى النفوس ، ويحمل على الاستهانة بقواعدها ، ويصرف كثيراً من خاصة الناس أنفسهم عن الإلمام بضوابطها النحوية والصرفية ، لأن فى استطاعتهم ، بفضل هذا الرسم المعيب ، أن يكتبوا ويؤلفوا بدون أن يكونوا ملمين بأصول هذه اللغة ، ولا مستطيعين هم أنفسهم قراءة ما يكتبونه قراءة صحيحة ، وبدون أن يظهر فى كتاباتهم أى أثر لقصورهم هذا

(وثانيهما) أن للحرف الواحد بحسب هذا الرسم صوراً مختلفة : فله صورة إذا كان مفرداً وصورة إذا كان متصلاً بغيره ؛ وله صورة إذا كان فى أول الكلمة ، وأخرى إذا كان فى وسطها ، وثالثة إذا كان فى آخرها

وقد ترتب على ذلك الأضرار الأربعة الآتية :

١ — أن تعدد هذه الصور من شأنه أن يحدث الارتباك والحيرة عند المبتدئين من المتعلمين ويطيل زمن تعلمهم للهجاء

٢ — أنه يكلف المطابع نفقات باهظة فى الحصول على عدة نماذج لكل حرف من حروف الهجاء

٣ — أنه يخلق صعوبات فى الطبع ويرهق العمال القائمين على صف الحروف من أمرهم عسراً ، إذ يتردد الواحد منهم بين أكثر من مائة صندوق مختلفة فى صور ما تشتمل عليه من نماذج ، فضلاً عن صناديق الشكل وعلامات الترقيم ؛ بينما لا يتردد العامل القائم على صف الحروف الإفرنجية إلا على نحو خمسين صندوقا

٤ — أن كثرة الصناديق وتعدد الصور للحرف الواحد ، كل ذلك يجعل عمل هؤلاء العمال عرضة للزلل . ومن أجل هذا تكثر الأخطاء المطبعية فى الكتب العربية بينما تندر جداً فى الكتب الإفرنجية ، مع أن جامعى الكتب الأولى ومصلحى تجاربها يبذلون من الجهد فى الجمع والإصلاح أضعاف ما يبذله زملاؤهم فى الكتب الثانية

* * *

وقد قُدِّمتْ عدة اقتراحات لاتقاء هذه العيوب وآثارها

ولكن معظم هذه الاقتراحات لا يحقق هذه الغاية تحقيقاً كاملاً ؛ والقليل منها الذى يحققها أو يدنو من تحقيقها يخلق لنا رسماً يختلف كل الاختلاف عن رسمنا الحالى ، فيقطع بذلك الصلة بين حاضرنا وماضينا ، ويحول بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربى ، كما بينتُ ذلك بتفصيل فى كتابىّ « علم اللغة » و « فقه اللغة »[1]

وقد كنت رأيت فى كتاب « فقه اللغة » أنه من الممكن التغلب على صعوبات الرسم العربى « بالتزام شكل الكلمة التى من شأنها أن تثير اللبس عند أواسط المتعلمين إذا تركت بدون شكل »

ولكن ظهر لى فيما بعد أن هذا لا يقضى إلا على قليل من عيوب هذا الرسم ولا يقى إلا من بعض الأضرار التى أشرت إليها آنفاً

هذا إلى أن رسم الشكل فوق الحرف أو تحته مع اتصال الحروف بعضها ببعض وضيق الحيز الذى يشغله كل حرف منها يجعل هذا الشكل عرضة للانحراف فيحدث الارتباك ويوقع فى الخطأ والحيرة . وفضلاً عن هذا كله فإن التجارب قد دلت على أن القلم كثيراً ما يزلّ فى تدوين هذه العلامات الخارجة عن هيكل الكلمة وأن النظر كثيراً ما يتخطاها عند القراءة ، فلا تكاد تؤدى الغرض المقصود منها

* * *

لذلك فكرت فى طريقة أخرى تخلّص الرسم العربى من العيبين الرئيسيين اللذين أشرت إليهما وإلى آثارهما فيما سبق ، وتُعفى القلم والنظر من الصعود والهبوط نحو حركات ترسم فوق الحروف أو تحتها ، وتقى القارئ والكاتب شرور الانحرافات المترتبة على هذا الصعود والهبوط ، ولا تقطع الصلة بين قديمنا وحديثنا ، بل تتيح للأجيال القادمة الانتفاع بتراثنا القديم

فاهتديت إلى طريقة يمكن تلخيص أصولها فى الأمور الأربعة عشر الآتية :

— أن ترسم حروف الكلمة مفردة منفصلاً بعضها عن بعض بنفس الصورة التى ترسم بها الحروف المفردة فى رسمنا الحالى ؛ هكذا : ا ب ت ث ج ... الخ

٢ — أن ترسم الهاء هكذا : « ه » ، والتاء المربوطة هكذا « ة » ، للتمييز بينهما وللنطق بكل منهما على وجهها الصحيح ، فينطق بالأولى هاء دائماً وينطق بالثانية هاء فى الوقف وتاء فى الوصل

٣ — أن ترسم حروف المد الثلاثة مجردة من العلامات والنقط ، هكذا : و ى ا . وترسم الألف اللينة ألفاً مطلقاً مهما كان أصل الكلمة وعدد حروفها . فكلمات : رمى ، إلى ، على ، متى ... الخ ترسم ألفاً حسب النطق بها

٤ — أن يوضع فوق الواو التى ليست حرف مد علامة ثمانية صغيرة هكذا « و٨ » (أو أية علامة أخرى) للتمييز بينها وبين واو المد وللنطق بها على وجهها الصحيح

٥ — أن يوضع نقطتان تحت الياء التى ليست حرف مد ، هكذا « ي » للتمييز بينها وبين ياء المد وللنطق بها على وجهها الصحيح

٦ — أن ترسم همزة القطع ألفاً فوقها همزة هكذا « أ » للتمييز بينها وبين الألف اللينة ولينطق بها القارئ على وجهها الصحيح . وترسم على هذه الصورة أيّاً كانت حركتها وحركة ما قبلها ، وأيّاً كان موضعها فى الكلمة

٧ — أن ترسم همزة الوصل ألفاً فوقها علامة ثمانية صغيرة هكذا « ا٨ » (أو أية علامة أخرى) وذلك للتمييز بينها وبين الألف اللينة وهمزة القطع ، وللاشارة إلى أنه لا ينطق بها مطلقاً فى الوصل ، وينطق بها همزة فى الابتداء

٨ — أن ترسم اللام الشمسية (التى لا ينطق بها فى علامة التعريف) لاماً فوقها ثمانية صغيرة ، هكذا « ل٨ » (أو أية علامة أخرى) ، وذلك للتمييز بينها وبين اللام القمرية وللاشارة إلى عدم النطق بها

٩ — أن يرسم الحرف الساكن بطبعه غير متبوع بأية علامة ، ويكون تجرده هذا دليلا على سكونه (وأقول « الساكن بطبعه » لأن الحرف المتحرك إذا سكن فى النطق لعارض كالوقف عليه مثلاً فى آخر الكلمة يكون حكمه فى الرسم حكم

(١) أنظر على الأخص كتاب « فقه اللغة » صفحات ١٧١ — ١٧٥ فى الطبعة الأولى و ١٤٣ — ١٣٨ فى الطبعة الثانية . وانظر كتاب « علم اللغة » صفحات ٢٤٦ — ٢٥٨ فى الطبعة الأولى و ١٨٧ — ١٩٦ فى الطبعة الثانية .

الحرف المتحرك ، فندون حركته وفقاً للقواعد الآتية)

١٠ — أن يرسم عقب الحرف المشدد بطبعه (كالسين في « مسّ ») أو المشدد في النطق لوقوعه بعد لام شمسية (كالسين في « السماء » علامة شدة فوقها فتحة أو ضمة إن كان مفتوحاً أو مضموماً وتحتها كسرة إن كان مكسوراً . فالسين المشددة أو الواقعة بعد لام شمسية ترسم هكذا في أحوالها الثلاثة : سَ س سُ س سِ . وذلك للاشارة إلى أن الصوت ينطق به مرتين يسكن في أولاهما ويحرك في ثانيتهما بالحركة المدونة بعده . وإن كان الحرف المشدد منوناً رسمت علامة تنوينه فوق شدته . فالميم في « عمٌ » مثلاً ترسم هكذا في أحوالها الثلاث : م مّ م مّ م مّ

١١ — أن يرسم عقب الحرف النون غير المشدد علامة تنوينه : فيرسم عقب المفتوح فتحتان هكذا = ؛ وعقب المكسور شرطتان متوازيتان تتصلان بشرطة مائلة هكذا = (حتى تتميز هذه العلامة عن العلامة السابقة) ؛ وعقب المضموم علامتان من نوع الفاصلة في علامات الترقيم هكذا ،، (وقد فضلت هذا الرمز على الرمزين المتداولين في التنوين المضموم وهما ,, لأن أولهما يلتبس بالواو المكررة وثانيهما يلتبس بالقاف في خط الرقعة) فاللام المنونة ترسم في أحوالها الثلاثة هكذا : ل=ل ا=ل ،، وذلك للاشارة إلى أن هذا الصوت محرك بالحركة المشار إليها ومتبوع بنون التنوين

١٢ — أن يرسم الحرف المتحرك الممدود بالألف أو الياء أو الواو غير متبوع بما يدل على حركته ، لأن وجود الألف بعده يدل على أنه مفتوح ، والياء على أنه مكسور ، والواو على أنه مضموم . فيرسم المقطع الأول من : قال وقيل وقوت هكذا قا قي قو . إلا إذا كان هذا الحرف مشدداً فتطبق عليه القاعدة العاشرة السابق ذكرها . (فكلمة الدارُ مثلاً ترسم هكذا : ا — ل د ـَ ا ر ـُ)

١٣ — أما الحرف المتحرك غير المشدد ولا المنون ولا الممدود فترسم حركته بعده : فإن كانت فتحة رسمت وفق صورتها في الرسم الحالي ، وإن كانت كسرة رسمت هكذا (حتى لا تلتبس بالفتحة) ، وإن كانت ضمة رسمت هكذا (حتى لا تلتبس بالواو إن رسمت بصورتها المتداولة)

١٤ — وأما علامات الترقيم فترسم الأنواع الآتية منها وفق صورها في الرسم الأفرنجي ، وهي : . ؟ ! « » ( ) . أما الفاصلة المجردة ، virgule ، فترسم فوقها نقطة هكذا ، حتى لا تلتبس بالواو إن رسمت بشكلها الأفرنجي وبالضمة إن رسمت بالصورة التي ترسمها بها الآن في العبارات العربية « ، » . وأما الشرطتان اللتان تحصران بينهما الجملة المعترضة فيستبدل بهما القوسان حتى لا تلتبسا بالفتحة إن رسمتا بصورتهما العادية : فترسمان هكذا ( )

وفيما يلي نموذج لتطبيق هذه الطريقة ، فالبيت والعبارة الآتيان (وهما يشتملان على نماذج لجميع القواعد الأربع عشرة التي تقوم عليها طريقتنا) :

السيف أصدق إنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

لكل قاعدة استثناء ، ولكل مطلق قيود

يدونان حسب الطريقة المقترحة على الصورة الآتية :

ا — لسَّيفُ، أ - صدـ ق، أ ـِنباأ= م ـِن —
الكُتُبِ في حـدِّهِ الحـدُّ ب ـَين
الجِدِّ والـلَّعِـبِ
لِكُلِّ قاعِدَة= اِستِثناء ،،
ولِكُلِّ مُطلَق= قُيُود ،،

وتمتاز هذه الطريقة عن جميع الطرق المقترحة من قبل بالأمور الآتية :

— أنها تخلص الرسم العربي تخليصاً تاماً من عيبيه الرئيسيين اللذين أشرت إليهما في صدر هذا المقال ومن جميع آثارهما الضارة التي أشرت إليها كذلك ، وتحقق جميع الفوائد المقابلة لها

٢ — أنها تعفي القلم والنظر من الصعود والهبوط نحو حركات ترسم فوق الحروف أو تحتها ، وتقي القارىء والكاتب شرور الانحراف المترتب على هذه الحركات ومواضعها . وذلك أن طريقتنا ترسم الحركات في صلب الكلمة نفسها . ولا تشتمل

إلا على ثلاث علامات خارجة عن صلب الكلمة ؛ ولكنها تشير إلى أمور أخرى غير حركة الحروف ، وهى الهمزة وعلامة الوصل وعلامة اللام الشمسية وعلامة الواو غير اللينة أ ا ل و

٣ — أنها لا تقطع الصلة بين ماضينا وحاضرنا ، ولا تحول بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربى المدون بالرسم القديم . لأنها تستخدم نفس الصور والأشكال التى يستخدمها هذا الرسم (فيما عدا الكسرة والضمة والعلامة المميزة لهمزة الوصل واللام الشمسية والواو غير اللينة — ، ٨ . على أن العلامتين الأوليين قريبتان جداً من شكلهما القديم ، والعلامة الثالثة لا تغير شيئاً من هيكل الحرف وإنما ترمز إلى أنه غير ناطق أو غير لين) . فالعالم بهذه الطريقة يستطيع مع شىء يسير جداً من التأمل والمران أن يقرأ الكتب المدونة بالرسم الحالى

ولا يؤخذ على هذه الطريقة إلا أمران :

(أحدهما) أنها تطيل رسم الكلمة قليلاً بالنسبة إلى رسمها القديم . ولكن ضرر هذه الإطالة ليس شيئاً مذكوراً بجانب ما تحققه من جليل الفوائد للعربية وأهلها . على أن معظم عيوب الرسم القديم قد نشأ عن مبالغته فى الاختزال والتعمية وإغفال الرمز إلى كثير من الأصوات التى ينطق بها فى الكلمة فلا يرجى له إصلاح جدى إلا بالقضاء على اختزاله وتعميته واعتماده على فراسة القارىء . وهذا يستلزم حتما أن يطول رسم الكلمة حتى تكون رموزها معبرة تمام التعبير عن جميع أصواتها . هذا إلى أننا لم نأل جهداً فى تحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه من الاقتصاد فى مجهود القارىء والكاتب والطابع[1] ، مع عدم الإخلال بالغرض المقصود ، وذلك بما تضمنته طريقتنا من الأصول المشار إليها فى موادها التاسعة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة . على أنه من الممكن أن تحذف علامة الحرف المفتوح لكثرة دوران الفتحة فى اللغة العربية ، وتثبت علامة الحرف الساكن لقلة دوران السكون ، فيتحقق بذلك بعض الاقتصاد ؛ وإن كانت الطريقة الأولى أكثر مطابقة للنطق

(وثانيهما) أنها ترسم حروف الكلمة متفرقة . ولكن رسم الحروف متفرقة أسلوب سليم لا غبار عليه ولا غرابة فيه . فقد سار عليه معظم أنواع الرسم السامى (الفينيقى والعبرى والآرامى والحبشى واليمنى ...) وسار عليه الرسم العربى نفسه فى أقدم صوره ، ويسير عليه الآن الرسم الأوربى فى الطباعة ؛ بل لقد أخذ هذا الأسلوب منذ أمد غير قصير ينفذ إلى أقلام الكاتبين باللغات الإفرنجية ، وأخذت مدارس كثيرة تسير عليه فى تعليم الهجاء الإفرنجى وتأخذ تلاميذها به فى كتاباتهم . وقد رأيت بعد تفكير طويل أن هذا الأسلوب وحده هو الكفيل بتخليص الرسم العربى من عيوبه وتحقيق الغايات التى نرمى إليها على أحسن وجه وأكمله . فبفضله نستطيع أن نرمز إلى أصوات المد القصيرة (الحركات) بعلامات ترسم فى هيكل الكلمة لا فوق حروفها أو تحتها ، وبفضله يصبح لكل حرف صورة واحدة لا تتغير ، مهما كانت حركته وكان موضعه فى الكلمة

صحيح أن من اعتاد الرسم والقراءة على الطريقة القديمة التى تقوم على الاختزال ووصل الحروف بعضها ببعض ، سيعانى بعض العنت فى السير على هذه الطريقة المفصلة المتفرقة الحروف . ولكن قليلا من المران كفيل بتخفيف هذا العنت وإزالته . على أن عبأه سيكون مقصوراً على أهل الجيل الحاضر ممن تعلموا على الطريقة القديمة . وأمر كهذا لا يقام له وزن بجانب ما تحققه الطريقة المقترحة من تقويم الألسنة والأقلام ، وصيانة للعربية الفصحى ، وتسهيل فى طرق تعلمها وتعليمها ، وتثبيت لملكتها فى النفوس ، وتمكين كل فرد من قراءة أية عبارة قراءة صحيحة مهما كانت درجته فى العلم ضئيلة ، ومهما كان ضعيفاً فى مبلغ إلمامه بقواعد اللغة

على عبد الواحد وافى
دكتور فى الآداب من جامعة السوربون

(١) تزيد صناديق المطبعة بحسب الطريقة القديمة على مائة صندوق للحروف فقط ، وتبلغ نحو مائة وثلاثين إذا أضيف إليها صناديق الشكل وملحقاته ؛ بينما تبلغ بحسب طريقتنا ثلاثة وأربعين فقط ، منها ثمانية وعشرون للحروف والباقى للتاء المربوطة والواو والياء غير اللينتين وهمزة القطع وهمزة الوصل واللام الشمسية وعلامتى التشديد والتنوين فى أوضاعهما الثلاثة والفتحة والكسرة والضمة (ة و ي أ ا ل ّ ٌ ٍ ً = إ = ،، —) فالصناديق فى طريقتنا تقل جدا عن صناديق المطابع الإفرنجية نفسها .